آيات الرجفة وأثرها في إصلاح القلوب

- دراسة موضوعية -

Verses of Tremor and Their Effect on Reforming Hearts

-An Objective Study-

م.د غزال صالح غزال

ديوان الوقف السني/ دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

gazalsalah66@gamil.com

الملخص

وقد اخترت في هذا البحث آيات الرجفة وأثرها في إصلاح القلوب، وصلاح النفوس في طاعة الله تعالى، وردعها عن المعاصي والذنوب، ومن معاني الرجفة: الزلزلة والتهيئة للحرب والاضطراب، والخوض في الأخبار الكاذبة السيئة، التي تولد اضطراباً بين الناس، وهي الحركة الشديدة والزلزلة الخارجة عمّا إعتاده الناس، تؤدي إلى اضطراب شديد وهول عظيم وفزع القلوب وارتعاد الأبدان، لقد ضربت الرجفة قوم صالح عليه السلام، وقوم شعيب عليه السلام، وقوم موسى عليه السلام، وأصابت المنافقين في المدينة، ومن صفات المنافقين: الحيرة والرعدة وفساد القلب، واتباع العيوب والزلات والضعف، وأصيب المؤمنون يوم الأحزاب بالبلاء والشدائد والرعدة والخوف.والرجفة في يوم القيامة تكون حركة واضطراب وزلزال، فتصير الجبال رمالا، ويكون معه صيحة، فتموت الخلائق كلها، يتبعها صيحة يوم القيامة لإحياءهم، وقد قسمت البحث إلى مبحثين بينت في المبحث الأول مفهوم الرجفة وأهميتها، وبينت في المبحث الثاني آيات الرجفة وأثرها في إصلاح القلوب.

الكلمات المفتاحية: ((الرجفة، إصلاح، القلوب))

Abstract

In this research, I have chosen the verses of the tremor and its effect on reforming hearts, correcting souls in obeying Allah the Almighty, and deterring them from sins and transgressions. Among the meanings of the tremor are: earthquake, preparation for war and turmoil, and delving into false and bad news, which generates turmoil among people. It is a violent movement and earthquake that is outside of what people are accustomed to, leading to severe turmoil, great terror, panic of hearts, and trembling of bodies. The tremor struck the people of Salih, peace be upon him, the people of Shuaib, peace be upon him, and the people of Moses, peace be upon him, and it struck the hypocrites in Medina. Among the characteristics of the hypocrites are: confusion, trembling, corruption of the heart, following faults, slips, and weakness. The believers were afflicted on the Day of the Confederates with affliction, hardships, trembling, and fear. The tremor on the Day of Resurrection is movement, turmoil, and earthquake, so the mountains become sand, and with it is a shout, so all creatures die, followed by a shout on the Day of Resurrection to revive them. I have divided the research into two sections, in which I explained: The first is the concept of tremor and its importance, and in the second section I explained the verses of tremor and their effect on reforming hearts.

Keywords: ((tremor, repair, hearts))

المقدمة

الحمد لله المنان، الذي علم القرآن، خلق الانسان، علمه البيان، والصلاة والسلام على سيد الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القيام.

أما بعد: فإن كتاب الله هو الهداية الذي لا يضل من اتبعه، والطريق المستقيم الذي لا يتيه من سلكه، والنور الذي يهدي الناس في ظلمات الحياة، وقد اخترت في هذا البحث آيات الرجفة وأثرها في إصلاح القلوب، لأبين ما فرضه الله علينا في ديننا الكريم، وكتابه الشافي لكل آلامنا ومشاكلنا وآمالنا . وتظهر أهمية الموضوع من اتصاله بأجل وأشرف وأقدس الموضوعات ألا وهو كتاب الله، المنقذ للناس من الظلمات إلى النور، الذي دعانا إلى فهم معانيه في قوله تعالى:))كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ((([1])، لذلك فمن الواجب بيان أسراره والكشف عن حقائق إعجازه وأحكامه، لننال خير الدنيا والآخرة، التزاماً بأوامره، وانتهاءً عن نواهيه، وقد قسمت البحث على مبحثين وكان المبحث الأول مفهوم الرجفة وأهميتها، والمبحث الثاني آيات الرجفة وأثرها في إصلاح القلوب.

المبحث الأول
مفهوم الرجفة وأهميتها

❖ أولاً: الرجفة لغة:

إن أصل الرجف في اللغة الحركة والاضطراب، والرجفة في اللغة تدل على معان متعددة منها:

١- الزلزلة رجفت الأرض إذا تزلزلت.

٢- التهيئة للحرب رجف القوم تهيئوا لها.

٣- الاضطراب والخوض في الأخبار الكاذبة السيئة التي تولد اضطراباً بين الناس تقول: أرجف القوم، وتقول: رجف البحر: اضطربت أمواجه.

٤- نغض أصل الأسنان تقول: رجفت الأسنان[٢].

❖ ثانياً الرجفة اصطلاحاً:

الرجفة: وهي: ((الحركة الشديدة والزلزلة الخارجة عمّا إعتاده الناس، تؤدي إلى اضطراب شديد وهول

(١) سورة – ص- الآية : ٢٩ .

(٢) ينظر تهذيب اللغة- للأزهري(ت٣٧٠هـ): ١١/ ٣١- ٣٢، وأساس البلاغة- للزمخشري(ت٥٣٨هـ)/ : ١/ ٣٤٠، ومختار الصحاح- لمحمد الرازي(ت بعد٦٦٦هـ): ٢٦٧، ولسان العرب- لابن منظور(٧١١ه): ٣/ ١٥٩٦.

عظيم وفزع القلوب وارتعاد الأبدان((١).

❖ ثالثاً: أهمية آيات الرجفة:

لآيات الرجفة أهمية في صلاح القلوب، واستقامة النفوس على طاعة الله تعالى، وردعها عن المعاصي والذنوب، والمسابقة إلى فعل الخيرات والأعمال الصالحة، وتذكّر الموت والآخرة، والتفكر في قدرة الله تعالى وقوته العظيمة، ومدى ضعف الإنسان وحاجته إلى رحمة ربه، والخوف من عقابه، وأن هلاك الأمم لعدم خوفهم من عاقبة كفرهم بنعم ربهم، فأذاقهم الفزع بالزلازل التي ترعب القلوب وتزلزل الأبدان وتحرك النفوس، ليعتبر الناس بها ويتعظوا بمن سبقهم، وتنصلح القلوب وتثبت على عبادة ربها، وتزداد يقيناً بكلامه سبحانه وتعالى، وتصديقاً بدعوة أنبياءه عليهم السلام.

المبحث الثاني

((آيات الرجفة وأثرها في إصلاح القلوب - دراسة موضوعية-))

❖ أولاً: الرجفة في ثمود:

قال الله تعالى: ((فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ))(٢) ، وسبب تسميتهم بثمود لأن جدهم ثمود يصل نسبه إلى نوح ولمائهم القليل، وسكنوا الحجر في أرض الحجاز، ولمعيشتهم المتسعة بنوا بيوتهم من الجبال، فتكبروا على الله وعاثوا في الأرض الفساد، وعبدوا الأصنام، فأرسل الله تعالى إليهم صالحاً عليه السلام، وكان عربياً من نسبهم، فبدأ يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، فلم يستجيبوا له إلا القليل من المستضعفين، فأنذرهم عذاب الله تعالى، فطلبوا منه بينة على دعواه، بأن يخرج لهم ناقة من الصخرة، فأن فعلت ذلك تؤمن ونصدق بأنك مرسل من الله تعالى، فدعا الله تعالى فخرجت ناقة من تلك الصخرة آية لهم خاصة، ونهاهم عن ضربها أو قتلها أو إيذائها، فيصيبهم عذاب الله تعالى (٣).

فكانت الناقة ترعى من الشجر وترد الماء في يومها، فيشربون لبنها ويدخرون، فأضرت بهم وبمواشيهم بسبب كثرة شربها الماء والأكل، فذبحوا الناقة وأكلوها، وإسناد عقر الناقة إلى جميعهم لأنهم رضوا به، وإن

(١) الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي(٦٧١هـ): ١٩/ ١٩٥- والتوقيف على مهمات التعاريف- للمناوي(ت١٠٣١ هـ): ١٧٥- وفتح القدير للشوكاني(١٢٥٠): ٥/ ٤٥١- وخصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- للمطعني(١٤٢٩هـ): ٢/ ٣٤٩- والتفسير المنير- للزحيلي: ٨/ ٢٧٩.

(٢) الأعراف - الآية: ٧٧-٧٨.

(٣) ينظر الكشاف -للزمخشري: ٢/ ١٢٠- ١٢٤- ومحاسن التأويل - للقاسمي: ٥/ ١٢٥- ١٢٩.

وقع الفعل والمباشرة من بعضهم، فتوعدهم نبيهم صالح عذاب الله تعالى، فأرادوا قتله فنجاه الله تعالى، فأتاهم العذاب بارتجاف الأرض وبصيحة من السماء، ففزعت قلوبهم وتصدعت آذانهم فماتوا في مساكنهم لا حراك لهم [١].

إن حكاية عذابهم في هذه الواقعة جاءت بألفاظ مختلفة في القرآن الكريم:

١-الرجفة: وهي الحركة الخارجة عن عادة الناس.

٢- الطاغية: تجاوزت في قوتها كل الحدود وزادت شدتها كل الحدود.

٣- الصيحة: تكون مصاحبة للرجفة والزلزلة والصاعقة والزجرة[٢].

قال الله تعالى: ((فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ))[٣]، وجاء في معنى الطاغية: أنها الواقعة ألتي تجاوزت الحد في شدتها وقوتها، وأنها الصيحة الشديدة القوية ألتي تجاوزت الصيحات، وأنها الرجفة والصاعقة، فأهلكهم الله تعالى بطغيانهم وكفرهم وتكذيبهم لرسله، وبفرقتهم التي طغت وتآمرت على عقر الناقة، وطغيان الشخص الذي عقر الناقة فأوقع الهلاك لقومه، فلم ينكروا عليه وأيدوا عمله[٤].

قال الله تعالى: ((وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَرِهِمْ جَٰثِمِينَ))[٥]، وقال الله تعالى: ((وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٍ فَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ))[٦]، ويراد بالصيحة الصاعقة بصوت شديد القوة عظيم الواقعة، فصعقت أسماعهم ومزقت أدمغتهم، بعد انتظارهم له في الوقت المعلوم، فلم يستطيعوا دفعه عند وقوعه، لعجزهم عن القيام والقدرة على المشي فضلاً عن الهرب منه، فما كان من شأنهم الانتصار ولا ناصر لهم، فكانوا جثث هامدة، لا حراك لهم ساكنين لا حياة لهم[٧].

قال الله تعالى: ((وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُواْ يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ))[٨]، كان قوم ثمود منكرين

(١) ينظر الكشاف –للزمخشري: ٢/ ١٢٠– ١٢٤– ومحاسن التأويل – للقاسمي: ٥/ ١٢٥– ١٢٩.
(٢) ينظر مفاتيح الغيب – للرازي: ١٤/ ٣٠٨ – ومحاسن التأويل – للقاسمي: ٩/ ٣٠٩.
(٣) الحاقة– الآية: ٥
(٤) ينظر مفاتيح الغيب – للرازي: ٣٠/ ٦٢١.
(٥) هود – الآية: ٦٧.
(٦) الذاريات– الآية: ٤٣–٤٥.
(٧) ينظر مفاتيح الغيب – للرازي: ١٨/ ٣٧١– ٢٨/ ١٨٥– ١٨٦ .
(٨) الحجر– الآية: ٨٠–٨٤.

لجميع الرسل والأنبياء عليهم السلام، وكان في معجزة الناقة آيات عديدة :

١- أخرجها الله تعالى من الصخرة.

٢- خلقتها العظيمة.

٣- البركة في لبنها مع خروجها وكفايته للقوم، وكثرة شربها للماء في يومها مقابل شرب القوم في اليوم التالي[١].

فلم يعتبروا بهذه الآيات التي تدل على وجوب تمعن النظر فيها، وأنها ليست من صنع البشر، وعدم اتباع الآباء والأجداد في العبادات والعادات الباطلة، وإنما طاعة الله تعالى وشكره على نعمه، الذي مكنهم من اتخاذ الجبال بيوتاً، وأنها ليست آمنة من عقاب الله تعالى، وما أغنت عنهم من وقوع العذاب، الذي جاءهم نهاراً في بداية الصباح الذي يبدؤون به أعمالهم لجمع الأموال [٢].

تبين لنا أن حال الفقراء وقلة الأموال أفضل حالاً من الأغنياء، وذلك لأن الغنى يؤدي إلى التكبر الذي يصدهم عن الإيمان، وأن المستضعفين من أكثر الناس إجابة للمرسلين عليهم السلام، وأن كبار القوم وساداتهم من أوائل المتمردين والمتكبرين، وأن أكثر اهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار الأغنياء، وأن عمارتهم للجبال يدل على قوة أجسادهم وأعمارهم الطويلة، لتتحمل مدة بقائهم في الدنيا، وأن كثرة النعم تفسد القلوب وتؤدي إلى كفرانها والتعالي والطغيان في الأرض، حتى مع مشاهدة المعجزات الظاهرة على صدق الأنبياء عليهم السلام، ومشاهدة مقدمات العذاب التي تتطلب عدم الإصرار على الكفر [٣].

وقد حذر النبي عليه الصلاة والسلام من أماكن المعذبين، وحث على البكاء عند دخولها، وعدم الشرب من مائها، للاعتبار بحالهم وما آلت بهم الذنوب والمعاصي، حتى استحقوا عقوبة الله تعالى، والخوف من الإصابة بما أصابهم، وأن الأشقياء لهم النصيب الأكبر من العذاب ، قال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما قال: ((أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر، فاستقوا من بئرها واعتجنوا به فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها ، وأن يعلفوا الإبل العجين وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كان تردها الناقة))[٤].

(١) ينظر مفاتيح الغيب – للرازي: ١٩/ ١٥٧– ومحاسن التأويل – للقاسمي: ٦/ ٣٤٣.
(٢) ينظر مفاتيح الغيب – للرازي: ١٩/ ١٥٧– ومحاسن التأويل – للقاسمي: ٦/ ٣٤٣.
(٣) ينظر التفسير المنير –للزحيلي: ٨/ ٢٧٧– ٢٧٨.
(٤) صحيح البخاري – كتاب حديث الأنبياء: ٤/ ١٨١– رقم الحديث: ٣٣٧٩.

وقال ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: ((لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا إلا أن تكونوا باكين، أن يصيبكم ما أصابهم ثم تقنع بردائه وهو على الرحل))[1]،

وقال عمار بن ياسرﷺ، أن النبي ﷺ قال لعليﷺ: ((إن أشقى الأولين عاقر الناقة، وإن أشقى الآخرين لمن يضربك ضربة على هذه ، وأومأ إلى رأسه، يخضب هذه ، وأومأ إلى لحيته))[2].

❖ ثانياً: الرجفة في مدين:

قال الله تعالى: ((وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ))[3]، وقال الله تعالى: ((وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ))[4]، وقال الله تعالى: ((وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ))[5].

سبب تسميتهم مدين، لأنهم أولاد مدين بن إبراهيم عليه السلام، وشعيب عليه السلام كان منهم نسباً، أرسله الله تعالى إليهم، وسمي بخطيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكثرة مراجعته قومه وحسن دعوته لهم، حيث دعاهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأراهم المعجزة البينة المؤيدة لدعواه، ونهاهم عن نقص الميزان، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وأمرهم بإيفاء الكيل، وعدم نقص الناس حقوقهم وأشياءهم، للتنبيه على أنهم يأكلون ما جلّ وكثر وما حقر وقل، فلا يتركون شيئاً إلا بخسوه، وذلك بادعاء وجود العيب في السلعة أو تزهيد الناس فيها، باستعمال جميع وسائل المخادعة والاحتيال على أصاحبها، وكان ذلك من الأكل المحرم لأموال الناس[6].

ودعاهم إلى عدم الإفساد في الأرض بالشرك والحيف، بعد أن صلح أمرها وأهلها باتباعهم الشرائع، إن كنتم آمنتم بما دعوتكم إليه، واستجبتم لما أمرتكم به ونهيتكم عنه، ولما فيه الخير لكم في الدنيا والآخرة، ولا تجلسوا بكل طريق من طرق الحق والدين تتوعدون الناس بالعذاب وتمنعوهم عن الإتباع والإيمان،

(١) صحيح البخاري – كتاب حديث الأنبياء: ٤/ ١٨١ – رقم الحديث: ٣٣٨٠.
(٢) البحر الزخار – مسند البزار: ٤/ ٢٥٤ – رقم الحديث:١٤٢٤ .
(٣) الأعراف– الآيتان : ٩٠=٩١.
(٤) العنكبوت – الآيتان : ٣٦–٣٧.
(٥) هود– الآية: ٩٤.
(٦) ينظر أنوار التنزيل– للبيضاوي: ٣/ ٢٢– ٢٤، وفتح القدير – للشوكاني: ٢/ ٢٥٥– ٢٥٧، و ٢/ ٥٩١.

كفعل الشياطين في الصد عن سبيل الله، وطريق الحق واحد لكنه يتفرع إلى المعارف والحدود والأحكام، واتهموا شعيباً بالكذب والفتنة، للدلالة على عظيم صدهم عنه وتقبيحاً لما كانوا عليه من الكفر بالله وإلقاء الشبهات، وذكرهم ببركة الله تعالى في نسلهم وأموالهم بعد أن كانوا قلة فكثّرهم، فاعتبروا بعاقبة المفسدين من الأقوام السابقة، فانتظروا حكم الله تعالى فيما بيننا وبينكم، بعد إيمان بعضكم وكفر البعض الآخر، فإن الله تعالى ناصر أهل الحق على الباطل، ووعد المؤمنين بنصره وتوعد الكافرين بعذابه، فهو أحسن الحاكمين، وحكمه العدل الذي لا ميل فيه، للدلالة على الوعيد الشديد لهم، وليس من باب الصبر على كفرهم، وإنما على انتظار العقوبة من الله تعالى[1].

فاستكبروا فلم يكفهم عدم إيمانهم وتمردهم عن إجابة دعوة نبيهم، بل وتوعدوا شعيباً بإخراجه ومن آمن معه من قريتهم إذا لم يتركوا دينهم ويعودوا إلى كفرهم، وشعيب عليه السلام لم يكن على الكفر في السابق مطلقاً، ولكنهم خاطبوه بذلك على غالب كفر جماعتهم على الفرد الواحد، فقال لهم نحن كارهون لعبادتكم الأصنام، فكيف تعيدوننا إليها مع تلك الكراهة، وكيف نخرج من القرية ونحن كارهون له، فلا يصح أن تجبروننا على أحدهما، وإن المكره لا يعد مختاراً، ولا تسمى الموافقة مع الكراهة موافقة، ولا العودة إلى دينكم كارهين عودة، فنفتري الكذب على الله إن رجعنا إلى دينكم، بعد أن أنقذنا الله تعالى منه، للمبالغة في عدم وقوعه واستحالته الآن أو المستقبل عبر بعدم كونه واقعاً منهم العودة إلى كفرهم بعد النجاة منه، وبيان الحق من الباطل، فلا يكون عودنا صحيحاً ولا مستقيماً إلا بمشيئة الله [2].

للدلالة على أن الكفر لا يكون إلا بمشيئة الله، فأراد قطع طمعهم في إعادتهم فعلقه على استحالته وعدم كونه واقعاً أصلاً، مسلمين أمرنا إلى الله وحده المحيط الواسع علمه بالأشياء كلها، عليه يتوكل أهل الإيمان ويخلصهم من أهل الشر، وهو الفتاح والقاضي بيننا وبينكم بالحق في حكمه، فينكشف الحق من الباطل، وهو أحسن المعينين والفاتحين، وناصر أهل الحق على أهل الباطل، فكان ذلك طلباً لنزول النصر وعذاب الكافرين، فلما نزل أمر عذابهم نجى الله تعالى شعيباً والمؤمنين برحمته وهدايته وبإيمانهم، فجاءهم العذاب بصيحة جبرائيل عليه السلام، وأخذتهم الرجفة بزلزلة الأرض فجعلتهم أموات في مدينتهم، فكانوا خاسرين لدنياهم وآخرتهم، بسبب ظلمهم وأكلهم لأموال الناس بالباطل [3].

(١) ينظر: أنوار التنزيل- للبيضاوي: ٣/ ٢٢- ٢٤،.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل- للبيضاوي: ٣/ ٢٢- ٢٤، وفتح القدير - للشوكاني: ٢/ ٢٥٥- ٢٥٧، و ٢/ ٥٩١.
(٣) ينظر أنوار التنزيل- للبيضاوي: ٣/ ٢٢- ٢٤، وفتح القدير - للشوكاني: ٢/ ٢٥٥- ٢٥٧، و ٢/ ٥٩١.

إن الدعوة إلى الله تعالى تكون بالكلمة الطيبة الحسنة، مع استخدام وسائل الإقناع والترغيب والترهيب المسنودة بالأدلة والبراهين الكونية والعقلية، بالأمر بالمعروف والانقياد لله تعالى وأوامره، والنهي عن المنكر والابتعاد عن نواهيه، ومنها ظلم الناس وأكل حقوقهم وأموالهم، والاعتبار بعذاب الأمم السابقة، وأن العاقل من يعتبر بغيره، فينجوا من عذاب الله تعالى قبل وقوعه، فيصلح نفسه ويصلح قلبه بالإيمان المانع من العقوبات، وأن الأموال سبب للهلاك إذا لم يؤدي العبد شكرها، بأداء حق الفقراء الذي فرضه الله تعالى [1].

❖ ثالثا: الرجفة في بني إسرائيل:

قال الله تعالى: ((وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ))[2].

بنو إسرائيل هم من ذرية يعقوب عليه السلام، ولفظ إسرائيل عبري بمعنى عبد الله، اختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلاً من أصحاب الرأي، الذين لهم الاعتبار والوجاهة بين الناس، لموعد لقاء ربه عند جبل الطور، ليعتذروا ويتوبوا إليه من ذنوبهم، ويطلبوا رضاه ورحمته، وليصدقوا موسى عليه السلام بما يأمرهم وينهاهم، فلما وصلوا المكان سمعوا أوامر الله تعالى ونواهيه لموسى عليه السلام، فلما انتهى التكليم قالوا لموسى نريد أن نرى الله تعالى بأعيننا، حتى نصدقك ونؤمن بربك، فصعقوا وأصابتهم الرجفة حتى كادت أن تخرج عظامهم من أماكنها فماتوا، بسبب عدم تصديقهم لموسى وطلب الرؤية، وزيادة تعظيمهم لربهم سبحانه وتعالى [3].

فأخذ موسى يدعوا ربه بالعفو عنهم، وعدم إهلاكهم بفعل فتنة بعض السفهاء بعبادتهم العجل عندما سمعوا كلامك زاد طمعهم برؤيتك، فهي الفتنة التي تضل بها بمشيئتك أقواماً لتجاوزهم حدودك وقلة صبرهم، وليس ذلك ظلماً لهم وإنما بما كسبت أيديهم، وتبعد عنها آخرين لقوة إيمانهم وحسن اختيارهم، للدلالة على أن كل شيء يحصل بمشيئتك لاختبار صبر الخلق على طاعتك، ولو شئت لأهلكتنا قبل هذا اللفاء وأنا معهم لتواضعه مع ربه، فذكر العفو والرحمة في السابق ليعفو عنهم ويرحمهم لاحقاً، طمعاً في كرمك، وعطفاً وثقةً بلطفك، ولخوفه من عدم تصديق بنوا إسرائيل لكلامه عند العودة إليهم بأنه أماتهم

(١) ينظر التفسير المنير– للزحيلي: ٨/ ٢٩٥– ٢٩٧.
(٢) ()الأعراف– الآية: ٥٥.
(٣) ينظر مفاتيح الغيب– للرازي: ٣/ ٤٧٤، و١٥/ ٣٧٥– ٣٧٨، والتفسير المنير – للزحيلي: ٩/ ١١٣– ١١٥.

الله تعالى، وأنه أخذهم لإهلاكهم، ويدل ذلك على أن الرجفة حصلت بالذين جاءوا مع موسى فقط، فأعاد الله تعالى لهم الحياة، فلا أحد يتولى أمرنا ونصرنا وهدايتنا إلا أنت، فأنزل علينا مغفرتك لنتخلى عن الذنوب ونتحلى بطيب رحمتك، ذكر ذلك بعد إسناد الهداية والضلالة لله تعالى، فطلب المغفرة والرحمة لضعف البشر وتجاوزهم حدود الله تعالى، وأن لا يقعوا في الذنوب والمعاصي، فأنت أفضل وأكرم من يغفر الذنوب ويرحم التائبين والمستغفرين[1].

فالمؤمن الطائع الملتزم بالآداب والأخلاق لا يعاند، ولا يطلب ما لا يجوز أن يطلبه من ربه، وما لم يأذن به الله تعالى، وما لا يرضا به لأنبيائه فضلاً عن غيرهم، وأن اتباع المرسلين عليهم السلام نجاة من العقوبة العاجلة والآجلة، وأن ترك الواجبات والعبادات سبب لنزول العقوبات، وأن التوحيد فيه صلاح القلوب من الملذات، واستقامت العباد على طاعة ربهم. والعبد بنيته الصالحة المؤمنة يهديه الله تعالى، وأن الشرك يفسد القلوب، ويخرج أصحابه من عبادة ربهم، فتكون نيته سيئة فيضله الله تعالى بما كسبت أيديهم[2].

قال الله تعالى: ((وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ))[3]، فإنَّ من أعظم النعم على العصاة رجوعهم إلى الحياة في الدنيا بعد الموت، لتكون لهم فرصة للتوبة والنجاة من عذاب النار في الاخرة والفوز بالجنة، وليعتبر وليحذر الذين من بعدهم إلى يوم القيامة من فعل المعاصي، وعدم إنكار نبوة ومعجزات الأنبياء عليهم السلام، وإن منكري ذلك ليسوا ببعيدين عن عقوبة الله تعالى في الدنيا قبل الآخرة، وفي ذلك تثبيتاً للمؤمنين والصبر على طاعة ربهم كما صبر رسل الله تعالى عليهم السلام، وإن الأولوية في الإيمان لأهل الكتاب لعلمهم بما نقل إليهم من أخبار من سبقهم، ومخالفتهم لأنبيائهم مع مشاهدتهم الآيات، فلا عجب من مخالفة كفار قريش للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، كما خالف بنو إسرائيل العهد مع ربهم، وقالوا لا نصدق تكليم الله تعالى لك حتى نرى ربنا بأعيننا، وأكدوا بلفظ جهرةً لدفع توهم الرؤية بالنوم والتخيل والوصف العلمي، فجاءتهم الصعقة وكونهم مشاهدين لها لعظم شأنها وعقوبتها، فكانت سبباً لموتهم، ثم بعثهم ليشكروا ويؤمنوا ويطيعوا، فكان وقت موتهم أجلاً لأول الأمر ثم وقت إحيائهم أجلاً آخر[4].

(١) ينظر مفاتيح الغيب- للرازي: ٣/ ٤٧٤، و١٥/ ٣٧٥- ٣٧٨، والتفسير المنير - للزحيلي: ٩/ ١١٣- ١١٥.
(٢) ينظر التفسير المنير- للزحيلي: ٩/ ١١٣- ١١٥.
(٣) سورة البقرة - الآيتان: ٥٥-٥٦.
(٤) ينظر مفاتيح الغيب للزازي: ٣/ ٥١٨- ٥٢١.

❖ رابعاً: الرجفة في معركة الأحزاب:

قال الله تعالى:((أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ))[1]، هذه الآيات نزلت في المؤمنين يوم الأحزاب وما أصابهم فيه من برد وضيق وفقر، وقلتهم مقابل كثرة عدوهم وعدتهم، تحسبون أيها المؤمنون دخول الجنة سهلاً بلا اختبار وامتحان وابتلاء وشدة، وارتجاف وخوف، كما أصاب السابقين من المؤمنين ما أصابكم اليوم وتأخر النصر عليهم، فسألوا عن موعد النصر؟ فأخبرهم الله أنه ناصرهم ومؤيدهم وقريب منهم، فلا يستعجلوا النصر فإنه قريب [2].

تطيباً لقلوب المؤمنين بين حال السابقين وما حل بهم من أنواع البلايا والشدائد، ليحثّ المؤمنين على الصبر والثبات، وليتحملوا تلك المشاق التي سوف تعترضهم لمواجهة الكفر وأهله، ليثبتوا حتى يتحقق نصر الله تعالى، فإن الجنة ورضا الله يتطلب بذل الجهد والمجاهدة، وصبر القلوب وثباتها وتحمل الأذى في سبيل الله تعالى، لاجتياز المحن والفتن والاختبار من دون ضجر وسخط، فلا يقنط المؤمن من نصر الله وتأييده لعباده ودينه ونبيه، وليعتبروا ويتعظوا لما أصاب الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم، فأنهم كانوا أشد بلاءً منكم، فقد أصابهم الفقر والأمراض والآلام والخوف، فأصبحوا ينتظرون النصر مع نفاذ صبرهم، فسأل رسولهم عن موعد النصر، فنصرهم الله تعالى بعد تلك الشدائد، حتى نتأسى بهم قلا نظن أن الإسلام عبادة فقط بلا خوف وفقر وبلاء وفتن، ولنصبر كما صبروا على الحق والدين المبين، في سبيل الدعوة إلى الله، وأن الإيمان قول وعمل يوصلان إلى الجنة ببذل الجهد والثمن والتضحية والمجاهدة، لتحقيق النصر على الأعداء، من خلال القوة المطلوبة لصدهم [3].

قال الله تعالى: ((إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا))[4]، واجتمع في يوم الأحزاب اليهود القريبين من المدينة والمشركين البعيدين على حرب المسلمين، فشخصت الأبصار وارتجفت القلوب خوفاً وفزعاً، وحركت الفتنة القلوب والأبصار، وظن المنافقون الغلبة للمشركين ظناً كذباً وتهويلاً وأن النصر بعيد، لكن المؤمنين المتيقنين بنصر

(١) سورة البقرة– الآية: ٢١٤.
(٢) ينظر جامع البيان – للطبري: ٤/ ٢٨٨.
(٣) ينظر التفسير المنير– للزحيلي: ٢/ ٢٤٥– ٢٥٢.
(٤) سورة الأحزاب– الآيات: ١٠–١٢.

الله تعالى اجتازوا الامتحان والبلاء، وتغلبوا على الفتنة بثبات قلوبهم على هذا الدين، فأرسل الله تعالى على الكفار ريحاً شديدةً، ففزعت قلوبهم وأبصارهم وارتعدت أجسامهم من شدة البرد، فانقلبوا صاغرين منكسرين، فنصر الله تعالى عباده وأيد دينه ونبيه [١].

فتبين من خلال هذه المعركة المؤمن الثابت الصادق في إيمانه الواثق بالنصر من المنافق الكاذب المراوغ المضطرب، الذين زرعوا الفتن والخوف والتثبيط بين المسلمين، ولتذكير المسلمين بالنعم ومنها النصر على الأعداء ليقابلوها بالشكر والثناء، وتبين صدق وعد الله ورسوله بنصره المؤمنين، فزادهم ذلك إيماناً وثقةً وتصديقاً، فانقادوا لأوامره ونواهيه، والأخذ بأسباب النصر والاستعداد لملاقاة الأعداء بالعدة والحيطة والحذر، وأن الله ناصر رسله وأولياؤه بغير قتال [٢]، قال جابر(ﷺ) أن النبي(ﷺ) قال: ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة))[٣].

❖ خامساً: المرجفون في المدينة:

قال الله تعالى: ((لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۝ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا))[٤]، إنَّ المنافقون في المدينة الذين أظهروا الإيمان وفي باطنهم الكفر والكيد للمسلمين، توعدهم الله تعالى بمعاقبتهم بإذلالهم وقتلهم وإخراجهم من جماعة المسلمين وعدم الصلاة عليهم، والتسلط عليهم ونفيهم من المدينة، إلا مجاورة قليلة من الزمن ولعدد بسيط منهم، وهذا الوعيد بالإخراج أشد عليهم من القتل، إذا لم ينتهوا عن إثارة الفتنة وإشاعة الخوف في قلوب المسلمين، لحديثهم عن غزو قبائل العرب المدينة، وتزوير الأخبار في المجالس والطرقات كذباً وبهتاناً، وأنهم سينتصرون على الإسلام، مما يثير الخوف والاضطراب والهزيمة في نفوس أهل المدينة، وأذية المسلمين والمسلمات في ديارهم، والتشكيك في قوتهم وسوء الظن بعضهم بالبعض الآخر [٥].

(١) ينظر جامع البيان – للطبري: ٢٠/ ٢١٦– ٢٢٢.
(٢) ينظر التفسير المنير– للزحيلي: ٢١/ ٢٥٩–٢٨٠.
(٣) صحيح البخاري – طبع دار الشعب – كتاب التيمم – باب التيمم: ١/ ٩١– رقم الحديث: ٣٣٥.
(٤) سورة الأحزاب– الآيات: ٦٠–٦١.
(٥) ينظر المحرر الوجيز –لابن عطيه: ٤/ ٣٩٩– ٤٠٠، والتحرير والتنوير– لابن عاشور: ٢٢/ ١٠٨– ١١٢.

فعمم لفظ النفاق على هذه الفرق من المنافقين للتنبيه على خطرهم، ودخولهم في لعنة الله تعالى، وطردهم من رحمته ومغفرته، أينما وجدوا يمسكوا ويأسروا ويقتلوا، لكون أكثر المنافقين من اليهود، للتشديد في قتلهم وإهانتهم وإذلالهم واختفائهم واجتناب مخالطتهم وابعادهم عن المسلمين، فاندفع كيدهم وإرجافهم بهذا الوعيد فلم يقع عليهم القتل والأسر والإخراج، إشارة إلى تقديم إصلاح الفاسدين في المجتمعات على قطعهم منه، والعفو عن القتلة وقبول توبة المرتدين، ودعوة المحاربين للإسلام قبل قتالهم، ليكونوا أفراد صالحين ينفعون الأمة، فهذه سنة الله تعالى في المنافقين من قبلهم في الأمم السابقة، فلا غالب لسنته تعالى في أهل النفاق والكفر، وذلك مقتضى حكمته وعدله وعلمه[١].

إن من صفات المنافقين الاضطراب والإرجاف وفساد القلب، وتتبع العورات والزلات ومواطن الضعف، وأن عقوبة الاصرار على النفاق القتل والطرد من رحمة الله تعالى والبلاد، فهذه العقوبة بعدله وحكمته وسنته في خلقه من غير تغيير لها، قد تكون عاجلة أو آجلة، حسب قضائه في خلقه، فعلى المؤمن الابتعاد عن هذه الصفات، التي تفسد النفوس والقلوب[٢].

❖ سادساً: الرجفة في يوم القيامة:

قال الله تعالى: ((يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا))[٣]، وقال الله تعالى: ((يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ))[٤]، وقال الله تعالى: ((إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا))[٥]، في ذلك اليوم الرهيب يحصل التحرك والاضطراب والزلزلة، فتقع الرجفة في الأرض، وتكون الجبال رمالاً مجتمعة، تنهال بالأقدام عند المشي عليها، كأنها رمالاً سائلة متناثرة، فتكون معها صيحة فتموت جميع المخلوقات ثم تتبعها صيحة يوم القيامة لإحيائهم، وقلوب الكفرة خائفة فزعة قلقة مضطربة، منكسرة الأبصار ذليلة من شدة أهوال ذلك اليوم، متعجبين من رجوعهم إلى الحياة بعد الموت، لإنكارهم البعث والحساب[٦].

(١) المصدر نفسه.
(٢) ينظر التفسير المنير– للزحيلي: ٢٢/ ١١٣– ١١٤.
(٣) سورة المزمل– الآية: ١٤.
(٤) سورة النازعات– الآيات: ٦–٩.
(٥) سورة الزلزلة– ١–٢.
(٦) ينظر الجامع لأحكام القرآن – للقرطبي: ١٩/ ٤٧، و١٩٥– ١٩٦.

ومن باب تعظيم ذلك اليوم أبهمه بذكر الرجفة والزلزلة فقط، ليكشف عما خفي في هذا الاضطراب لإخراج الأثقال من الأموات من مقابر الأرض، كما كانت تخرج النبات، وتتكلم بما عملوا عليها من خير أو شر، فيجازيهم الله تعالى على أفعالهم، على حسب مرتبتهم مؤمنهم وكافرهم متفرقين في مسيرهم، ليرى المحسنين إحسانهم، والمسيئين عقوبة إساءتهم، سواء كان صغيراً أو كبيراً من أعمالهم، فيغفر الله تعالى للمؤمنين ويعذب الكافرين [1]، وجاء عن أبي هريرة(ﷺ) قال: ((قرأ رسول الله(ﷺ) هذه الآية﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴾، قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة، بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، فهذه أخبارها))[2].

إن الله تعالى توعد كفار قريش والطغاة المكذبين برسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم، بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة، وفي يوم الزلزلة الذي يحدث فيه الاضطراب والزلازل التي تدك الأرض فتجعل الجبال هباءً منثوراً، لمحاسبة القلوب المضطربة في ذلك اليوم، التي لم تستجيب لنداء الحق، ويثبت القلوب المطمئنة المستجيبة لرسالة ربها [3].

الخاتمة

الحمد لله ناصر الأنبياء والمرسلين وعباده المؤمنين، ومعذب الكفار والمنافقين، وصلّ وسلم على الصادق الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين .

بعد دراستي لهذه الموضوع ، توصلت إلى ملخص النتائج الآتية:

١- الرجفة تكون بحركة شديدة وزلزلة خارجة عن العادة، مصاحبة لاضطراب شديد وأهوال عظيمة وفزع للقلوب وارتعاد للأبدان .

٢- إن في آيات الرجفة صلاح القلوب واستقامة النفوس على طاعة الله تعالى، وردعها عن المعاصي والذنوب .

٣- إن قوم صالح عليه السلام أتاهم العذاب بارتجاف الأرض وبصيحة من السماء، ففزعت قلوبهم وتصدعت آذانهم، وجاءتهم الصاعقة بصوت شديد القوة عظيم الواقعة، فصعقت أسماعهم ومزقت أدمغتهم فماتوا في مساكنهم .

(١) ينظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- للبقاعي: ٢٢/ ٢٠٣- ٢٠٨.

(٢) سنن الترمذي(ت٢٧٩هـ)- باب ومن سورة إذا زلزلت الأرض: ٥ / ٤٤٦- رقم الحديث: ٣٣٥٣- قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) ينظر التفسير المنير- للزحيلي: ٢٩/ ٢٠٥.

٤- إن من معاني الرجفة الطاغية والواقعة ألتي تجاوزت الحد في شدتها وقوتها، وأنها الصيحة الشديدة القوية ألتي تجاوزت الصيحات، وأنها الرجفة والصاعقة .

٥- إن سبب هلاك الأقوام السابقة طغيانهم وكفرهم وتكذيبهم لرسل الله تعالى .

٦- إن اتخاذ الجبال بيوتاً ليست آمنة من عقاب الله تعالى، وما أغنت عنهم من وقوع العذاب، فلم يستطيعوا دفعه عند وقوعه .

٧- إن حال الفقراء وقلة الأموال أفضل حالاً من الأغنياء، وذلك لأن الغنى يؤدي إلى التكبر الذي يصدهم عن الإيمان .

٨- إن المستضعفين من أكثر الناس إجابة للمرسلين عليهم السلام، وأن كبار القوم وساداتهم من أوائل المتمردين والمتكبرين، وأن أكثر اهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار الأغنياء .

٩- حذر النبي عليه الصلاة والسلام من أماكن المعذبين، وحث على البكاء عند دخولها.

١٠- إن قوم شعيب عليه السلام جاءهم العذاب بصيحة جبرائيل عليه السلام، وأخذتهم الرجفة بزلزلة الأرض فجعلتهم أمواتاً في مدينتهم .

١١- إن أكل أموال الناس بالباطل سبب لعذاب الله تعالى في الدنيا والآخرة .

١٢- إن قوم موسى عليه السلام طلبوا رؤية الله تعالى بأعينهم في الدنيا، فصعقوا وأصابتهم الرجفة حتى كادت أن تخرج عظامهم من أماكنها فماتوا .

١٣- إن عدم تصديق الأنبياء عليهم السلام يؤدي للهلاك والعذاب العاجل في الدنيا قبل الآخرة .

١٤- إن المؤمن الطائع الملتزم بالآداب والأخلاق لا يعاند، ولا يطلب ما لا يجوز أن يطلبه من ربه، وما لم يأذن به الله تعالى .

١٥- إنَّ من أعظم النعم على العصاة رجوعهم إلى الحياة في الدنيا بعد الموت، لتكون لهم فرصة للتوبة والنجاة من عذاب النار في الاخرة والفوز بالجنة .

١٦- تذكير المؤمنين يوم الأحزاب وما أصابهم فيه، فلا تحسبوا أيها المؤمنون دخول الحنة سهلاً بلا اختبار وامتحان وابتلاء وشدة، وارتجاف وخوف، كما أصاب السابقين من المؤمنين ما أصابكم اليوم وتأخر النصر عليهم .

١٧- لتطييب قلوب المؤمنين بين حال السابقين وما حل بهم من أنواع البلايا والشدائد، ليحثّ المؤمنين على الصبر والثبات .

١٨- اجتمع في يوم الأحزاب اليهود القريبين من المدينة والمشركين البعيدين على حرب المسلمين، وظن المنافقون الغلبة للمشركين، لكن المؤمنين المتيقنين بنصر الله تعالى اجتازوا الامتحان والبلاء .

١٩- تبين من خلال معركة الأحزاب المؤمن الثابت الصادق في إيمانه الواثق بالنصر من المنافق الكاذب المراوغ المضطرب.

٢٠- إن من صفات المنافقين الاضطراب والإرجاف وفساد القلب، وتتبع العورات والزلات ومواطن الضعف .

٢١- إن عقوبة الاصرار على النفاق القتل والطرد من رحمة الله تعالى والبلاد .

٢٢- إن في يوم القيامة يحصل التحرك والاضطراب والزلزلة، فتقع الرجفة في الأرض، وتكون الجبال رمالاً مجتمعة، فتكون معها صيحة فتموت جميع المخلوقات ثم تتبعها صيحة يوم القيامة لإحيائهم .

٢٣- إن الله تعالى توعد كفار قريش والطغاة المكذبين برسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم، بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

١. أساس البلاغة- للزمخشري(ت٥٣٨هـ) - دار صادر- بيروت ١٣٩٩هـ.

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل- لأبي سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي (ت٦٨٥هـ)- تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي- دار إحياء التراث العربي- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٨ه.

٣. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م .

٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج - لوهبة بن مصطفى الزحيلي- دار الفكر المعاصر - دمشق-ط/ ٢- ١٤١٨ هـ .

٥. تهذيب اللغة- للأزهري(ت٣٧٠هـ)- تحقيق: عبدالسلام محمد هارون- الدَّار المصرية- ١٣٨٤هـ.

٦. التوقيف على مهمات التعاريف- للمناوي محمد عبد الرؤوف (ت١٠٣١ هـ)- تحقيق: د. محمد رضوان الداية - دار الفكر- بيروت- دمشق-ط/ ١- ١٤١٠ه.

٧. جامع البيان في تأويل القرآن- لمحمد بن جرير بن يزيد - أبو جعفر الطبري(ت٣١٠هـ) - تحقيق أحمد محمد شاكر- مؤسسة الرسالة- ط/ ١ ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

٨. الجامع لأحكام القرآن- لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي(ت٦٧١ هـ)- تحقيق: هشام سمير البخاري- دار عالم الكتب- الرياض- ٢٠٠٣م.

٩. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية- لعبد العظيم بن إبراهيم بن محمد المطعني (ت ١٤٢٩هـ)- مكتبة وهبةط/ ١ - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م.

١٠. سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي- بيروت .

١١. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، دار الشعب/ القاهرة/ ط/ ١- ١٤٠٧ه .

١٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير- لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني الصنعاني (ت١٢٥٠هـ)- دار الفكر- بيروت.

١٣. الكشاف- لأبي القاسم محمود الزمخشري (ت٥٣٨ه)- تحقيق: عبد الرزاق المهدي- دار إحياء التراث العربي- بيروت.

١٤. لسان العرب- لأبي الفضل محمد بن مكرم بن علي ابن منظور(ت٧١١هـ)- دار صادر- بيروت- الطبعة الأولى.

١٥. محاسن التأويل محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت، ط/ ١ - ١٤١٨ه .

١٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٦هـ)- تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد- دار الكتب العلمية- لبنان- الطبعة: الأولى- ١٩٩٣م.

١٧. مختار الصحاح- لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي (ت بعد٦٦٦ه)- مكتبة ناشرون- بيروت - ١٩٩٥ .

١٨. البحر الزخار- لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار(ت٢٩٢ه)- تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله- مؤسسة علوم القرآن بيروت - ١٤٠٩ه

١٩. مفاتح الغيب- لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦ه)- دار الكتب العلمية- بيروت - الطبعة: الأولى - ٢٠٠٠م.

٢٠. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس(ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٩م .

٢١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور - لأبي الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي السوري (ت٨٨٥هـ)- دار الكتب العلمية بيروت-ط٢- ١٩٩٥م .

Sources and References

The Holy Quran:

1. The Foundation of Eloquence- by Al-Zamakhshari (d. 538 AH)- Dar Sadir- Beirut 1399 AH.

2. Anwar Al-Tanzil wa Asrar Al-Ta'wil- by Abu Saeed Abdullah bin Omar Al-Baydawi (d. 685 AH)- Edited by: Muhammad Abdul Rahman Al-Marashli- Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi- Beirut- First Edition- 1418 AH.

3. Al-Tahrir wa Al-Tanwir, Muhammad Al-Taher bin Muhammad bin Muhammad Al-Taher bin Ashour Al-Tunisi (d. 1393 AH), Dar Sahnoon for Publishing and Distribution - Tunis- 1997 AD.

4. Al-Tafsir Al-Munir in Creed, Sharia and Methodology- by Wahba bin Mustafa Al-Zuhayli- Dar Al-Fikr Al-Mu'aser- Damascus- 2nd Edition- 1418 AH.

5. Tahdheeb Al-Lugha- by Al-Azhari (d. 370 AH)- Investigation: Abdul Salam Muhammad Haroun- Dar Al-Masryah- 1384 AH.

6. Al-Taqeef ala Muhammat Al-Ta'arif- by Al-Manawi Muhammad Abdul Raouf (d. 1031 AH)- Investigation: Dr. Muhammad Radwan Al-Dayah- Dar Al-Fikr- Beirut- Damascus- 1st edition- 1410 AH.

7. Jami' Al-Bayan fi Ta'wil Al-Quran- by Muhammad bin Jarir bin Yazid- Abu Jaafar Al-Tabari (d. 310 AH)- Investigation: Ahmad Muhammad Shaker- Al-Risala Foundation - 1st edition 1420 AH- 2000 AD.

8. Jami' Li Ahkam Al-Quran- by Abu Abdullah Muhammad bin Ahmad Al-Qurtubi (d. 671 AH)- Investigation: Hisham Samir Al-Bukhari- Dar Alam Al-Kutub- Riyadh- 2003 AD.

9. Characteristics of Quranic Expression and its Rhetorical Features- by Abdul Azim bin Ibrahim bin Muhammad Al-Muta'ani (d. 1429 AH)- Wahba Library, 1st edition - 1413 AH- 1992 AD.

10. Sunan Al-Tirmidhi, Muhammad bin Issa Abu Issa Al-Tirmidhi Al-Salami, edited

by: Ahmed Muhammad Shaker, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi- Beirut.

11. Sahih Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail bin Ibrahim bin Al-Mughira Al-Bukhari, Abu Abdullah (d. 256 AH), Dar Al-Shaab/Cairo/1st edition- 1407 AH.

12. Fath Al-Qadir, which combines the two arts of narration and knowledge from the science of interpretation- by Muhammad bin Ali bin Muhammad Al-Shawkani Al-San'ani (d. 1250 AH)- Dar Al-Fikr- Beirut.

13. Al-Kashaf- by Abu Al-Qasim Mahmoud Al-Zamakhshari (d. 538 AH)- edited by: Abdul Razzaq Al-Mahdi- Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi- Beirut.

14. Lisan al-Arab- by Abu al-Fadl Muhammad ibn Makram ibn Ali ibn Manzur (d. 711 AH)- Dar Sadir- Beirut- First Edition.

15. Mahasin al-Ta'wil Muhammad Jamal al-Din ibn Muhammad Sa'id ibn Qasim al-Hallaq al-Qasimi (d. 1332 AH), edited by: Muhammad Basil Ayoun al-Sud, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah- Beirut, 1st edition- 1418 AH.

16. Al-Muharrir al-Wajeez fi Tafsir al-Kitab al-Aziz- by Abu Muhammad Abd al-Haqq ibn Ghalib ibn Atiyah al-Andalusi (d. 546 AH)- edited by: Abd al-Salam Abd al-Shafi Muhammad- Dar al-Kutub al-Ilmiyyah- Lebanon- First Edition- 1993 AD.

17. Mukhtar al-Sihah- by Muhammad ibn Abi Bakr ibn Abd al-Qadir al-Razi (d. after 666 AH)- Nasherun Library- Beirut- 1995.

18. Al-Bahr al-Zakhar- by Abu Bakr Ahmad ibn Amr ibn Abd al-Khaliq al-Bazzar (d. 292 AH)- edited by Dr. Mahfouz Al-Rahman Zain Allah- Quranic Sciences Foundation Beirut- 1409 AH

19. Keys of the Unseen- by Abu Abdullah Muhammad bin Omar Al-Razi (d. 606 AH) - Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah- Beirut- Edition: First- 2000 AD.

20. Language Standards, Ahmad bin Faris (d. 395 AH), edited by: Abdul Salam Haroun, Cairo, 1969 AD.

21. Nazm Al-Durar fi Tansab Al-Ayat wa Al-Sur- by Abu Al-Hassan Ibrahim bin Omar bin Hassan Al-Baqaei Al-Suri (d. 885 AH)- Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah, Beirut- 2nd edition - 1995 AD.